SEBHA UNIVERSITY JOURNAL OF HUMAN SCIENCES VOL.21 NO. 2 2022
DOI: 10.51984/JOHS.V21I2.2406

مجلة جامعة سبها للعلوم الإنسانية
Sebha University Journal of Human Sciences

Journal homepage: https://sebhau.edu.ly/journal/index.php/johs

# الجوانب العلمية في شخصية الإمام سحنون.

عائشة محمد علي البريكي

قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، جامعة سبها، ليبيا.

**الملخص**

يتلخص هذا البحث في أنه يكشف عن الجوانب العلمية في حياة الإمام أبوسعيد عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي الإمام العلامة فقيه المغرب الملقب "بسحنون" وصاحب المدونة الكبرى وهومن الذين انتسبوا للمذهب المالكي ونشروه في الآفاق (240 هـ) ، فقد تفقَّه على يد أئمة أعلام يشهد لهم التاريخ ولازم ابن وهب وابن القاسم وأشهب حتى صار من نظرائهم وساد أهل المغرب في تحرير المذهب وعلى قوله المعول بتلك الناحية وتفقه به عدد كثير ، وكان ارتحاله في سنة ثمان وثمانين ومائة وكان موصوفاً بالعقل والديانة التامة والورع ، مشهوراً بالجود والبذل والكرم . ثم نشر المذهب في العراق والأندلس وإفريقية ، ليكون بذلك قد قدَّم خدمة جليلة للمذهب المالكي . انتهت الرياسة في العلم بالمغرب إليه ، وولي القضاء بالقيروان . أخذ عنه : ولده محمد فقيه القيروان ، وعبد الله بن غافق التونسي ، ومحمد بن عبد الله بن عبدوس المغربي ، ووهب بن نافع فقيه قرطبة وعدد كثير من الفقهاء. وحصل له من الأصحاب والتلامذة ما لم يحصل لأحد من أصحاب الإمام مالك لذلك ذكرننا عدد من تلاميذه الذين ساهموا في نشر المذهب ثم تناول الجوانب العلمية في حياة الإمام فذكرنا جزء من رحلته في طلب العلم ، والجوانب التي تخصص فيها الإمام مثل : جانب الحديث ، و القضاء والإفتاء ، والتدريس .والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها.

**الكلمات المفتاحية:**

سحنون
إمام
جوانب
المالكي
شخصية

# Scientific aspects of the personality of Imam Sahnun

Aisha Mohamed Ali Ay Nnbriki

Department Of Islamic Studies, College of Arts, Sebha University, Libya

**ABSTRACT**

The study actuly hed light on gclentif aspects of imamate ,abusaid abdelsam ben said ben habeb altakoukhythe great imamateof marocco who is called “sahnon “ and who wrote trie “greatcorpus “ , and is one the fullowcrs of imamate “malik “, and who spre ad that believe in “240 h “ he have study under famous scholars like ben abi kharija , bahlol ,ali ben ziad ,ben hassan , ben ashras , and khanem. He followed their schooi and become as one of them , he was so famous in morocco , and he teached many greduntss until he died in year “one hundred and eighty seven “ he was very keen when supervised judgeship he was succeeded by his son ,and sback ben khalil , saed ben nemer, and abdulla ben ghafek , mohamed ben abdulla ben abdoss , wahab ben nafie and many other scholar of jursiprudance ,and he was so famous thnt few of scholars rechead his prestnge.

**Keywords:**

Sahnoun
Aspects
Persona
ALmalky
Front

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد...

فقد منَّ الله تعالى على أمة محمد -□- ببعثه الرسول إليها□ : [قَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْبَعَثَ فِيهِم رَسُولاً مِّن أَنفُسِهِم يَتْلُوعَلَيْهِم آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِم وَيُعَلِّمُهُم الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ ] □آل عمران : 164.

ومن تمام النعمة أن جعل للأنبياء ورثة هم العلماء الذين جعل الله – عز وجل-

*Corresponding author:
E-mail addresses: ah.jummah@sebhau.edu.ly

*Article History : Received 24 April 2022 - Received in revised form 09 December 2022 - Accepted 22 December 2022*

عماد الناس عليهم في الفقه والعلم وأمور الدين والدنيا . ومن أولئك العلماء الإمام والقاضي عبد السلام بن سعيد بن حبيب بن حسان التنوخي الملقب" بسحنون" ، فقد كان له أثره البالغ في إرساء قواعد المذهب المالكي.

وحباً في ازدياد المعرفة بالإمام القاضي عبد السلام التنوخي((سحنون)) والمدرسة المالكية في المغرب العربي اكتب هذا البحث : (الإمام سحنون ) والجوانب العلمية في شخصيته ، الذي من مقاصده اظهار ملامح هذه الشخصية الفذة العظيمة التي كان لها أثرها البالغ في المذهب المالكي ومع هذا لم يكن له ذكر كثير خصوصا في ليبيا بالرغم من أن ليبيا تنعم بالمذهب المالكي منذ ذلك العصر . ولتحقيق ذلك جعلت البحث : ملخص مقدمة و ثلاث مباحث ، و جاءت الهيكلية كالأتي:

أولاً : المقدمـــــة

المبحث الأول

المظاهر والعوامل

1- اسمه – لقبه - أسرته
2- موقفه من الأمراء
3- شيوخـه
4- أقوال في سحنون

المبحث الثاني : ثقافة الإمام سحنون وآثاره

1- حِكَم من أقوال سحنون
2- مؤلفاته – المدونة
3- كبار تلاميذه

المبحث الثالث : الجوانب العلمية

1- رحلته في طلب العلم
2- جانب الحديث
3- جانب القضاء
4- جانب الإفتاء
5- جانب التدريس .

.

**النتائج والمناقشة**

**المبحث الأول**

**التعريف بالإمام :**

**اسمه :** أبو سعيد عبد السلام بن سعيد بن حبيب بن حسان بن هلال بن بكار بن ربيعة التنوخي.

**لقبه :** ((سحنون )) ؛ لشدة ذكائه وحدة فهمه تشبهاً بطائر يدعى سحنوناً حديد البصر ، ويوصف بالفطنة و التحرز ، وهو بفتح السين وضمها .[1] لقد كان ربع القامة ، بين البياض والسمرة حسن اللحية كثير الشعر , بعيد مابين المنكبين , أنيق اللباس والمظهر كل ذلك أكسبه مهابة وجلالاً على ما للعلم من هيبة وجلال.

**أصله :** شامي من مدينة حمص، قدم أبوه القيروان في جند حمص، فولد له ابنه عبد السلام سنة 160هـ ، وتلقى العلم بالقيروان ثم رحل إلى تونس ومنها إلى مصر والشام والحجاز وأخذ الفقه عن مشاهير الفقهاء، وعاد إلى القيروان سنة 191 هـ .

تولى القضاء بالقيروان في عهد أميرها " محمد بن الأغلب " سنة 234 هـ ولشدة تمسكه بالعدل سميَّ " سراج القيروان " ولم يزل قاضياً إلى أن مات . كان لا يأخذ لنفسه رزق ، ولا صلة من السلطان في قضائه ، كان من كبار الفقهاء ، مفتياً ذا شهرة واسعة ، وإليه انتهت الرئاسة بالمغرب وعنه انتشر مذهب مالك هناك . جاء الناس يطلبون علمه من إفريقية والأندلس وتخرج على يده فقهاء كثيرون ، وكان زاهداً لا يهاب سلطاناً في حق يقوله وكان رفيع القدر أبي النفس.[2]

**أسرته :** بآل سحنون أسرة قيروانية من أصل شامي ذات مجد علمي ، أنجبت أعلاما من الفقهاء في القرنين الهجريين الثاني والثالث ، منهم :

**ابنه محمد :** هو أبوعبدالله محمد بن سحنون ولد بالقيروان سنة 202 هـ ، ونشأ في كنف أبيه ، فقيه المغرب وإفريقيا الذي اعتنى بتربيته ، وتعليمه ، فأخذ حظه من القرآن الكريم والعلوم الضرورية ، وتحول إلى مجالس الدروس على يد شلة من شيوخ إفريقيا فحمل عنهم مروياتهم وأتقنها ، ورحل إلى الأمصار وتعلم عدة علوم ، وعاد إلى إفريقية بتجربة وعلم ليشع على المغرب وأفريقيا . [3] فأصبح في شبابه وفي حياة أبيه شيخاً جليلاً يأخذ الناس عنه العلم ويتمتع بثقة كبار الشيوخ ، هذا إلى جانب خلق متين ومظهر ووقار جليل .

**خديجة بنت الإمام سحنون:**

كانت خديجة عاقلة ، ذات صيانة ودين. وكان أبوها يحبها حبًا شديدًا، وكان أبوها يستشيرها في شتى أموره . وكذلك أخوها محمد كان يأخذ برأيها في معظم أموره ، وكانت نساء زمانها يستفتينها في مسائل الدين ومعضلات الأمور؛ لما منحها الله تعالى من كمال العمل والمدارك العالية .[4]

**أقوال العلماء في الأمام سحنون :**

عن أشهب قال : ما قدم علينا أحد مثل سحنون . وعن يونس بن عبد الأعلى قال : سحنون سيد أهل المغرب . وقيل : كان إذا قرئت عليه " مغازي " ابن وهب تسيل دموعه وإذا قرئ عليه الزهد لابن وهب يبكي .[5] وقيل : قال أبو العرب : اجتمعت في سحنون خلال قلما اجتمعت في غيره : الفقه البارع ، والورع الصادق والصرامة في الحق والزهادة في الدنيا ، والتخشن في الملبس والمطعم والسماحة ، وكان لا يقبل من السلاطين شيئا ، ولم يكن يهاب سلطاناً في حق ، شديدا على أهل البدع ، انتشرت إمامته واجتمعوا على فضله . وقال عيسى بن مسكين : سحنون راهب هذه الأمة ، ولم يكن بين مالك وسحنون أفقه من سحنون .[6] وكان مع هذا (رقيق القلب، غزير الدمعة ، ظاهر الخشوع متواضعاً ، قليل التصنّع كريم الأخلاق ، حسن الأدب، سالم الصدر، شديدا على أهل البدع لا يخاف في الله لومة لائم ، انتشرت إمامته في المشرق والمغرب وسلّم له الإمامة أهل عصره واجتمعوا على فضله وتقديمه )).

قال ابن الحارث : قدم سحنون بمذهب مالك واجتمع مع ذلك فضل الدين ، والعقل والورع ، والعفاف فبارك الله فيه للمسلمين ، فمالت إليه الوجوه ، وأحبته القلوب وصار زمانه كأنه مبتدأ قد انمحى ما قبله ؛ فكان أصحابه سُرُج أهل القيروان ، وأَنْبَه علمائها وأكثرهم تأليفاً ، وابن عبدوس فقيهها ، وابن غافق عاقلها ، وابن عمر حافظها وجبلة زاهدها ، وحمديس أصلبهم في السنَّة

، وأعداهم للبدعة وسعيد بن الحداد لسانها وفصيحها وابن مسكين أرواهم للكتب و الحديث وأشدهم وقاراً .[7]

قال الشيرازي : إليه انتهت الرئاسة في العلم بالمغرب ، وعلى قوله المعوَّل بالمغرب ،وصنف المدونة ، وعليها يعتمد أهل القيروان ، وحصل له من الأصحاب مالم يحصل لأحد من أصحاب مالك ، ومنه انتشر علم مالك بالمغرب. وقال أبو علي البصير:سحنون فقيه أهل زمانه ، وشيخ عصره ، وعالم وقته وقال ابن الحارث : كان سحنون أفضل الناس صاحبا وأعقل الناس صاحبا ، أفقه الناس صاحبا ، وكانت هذه الصفات صفات سحنون ؛ فخلق بها أصحابه رحمهم الله تعالى . وسئل أشهب عمن قدم إليكم من أهل المغرب ؟ قال ((سحنون)) قيل له فأسد ؟ قال والله سحنون أفقه منه بتسع وتسعين مرة . وقال يونس بن عبد الأعلى : (هو سيد أهل المغرب) فقال له حمديس : ((أولم يكن سيد أهل المغرب والمشرق )) ؟[8]

**موقف سحنون من الأمراء:**

في أيام المهالبة كان سحنون منصرفاً كلياً لدراسة الفقه وطلب العلم مبتعداً عن السلطة والإدارة والأمراء، ثم قام برحلته المشهورة إلى المشرق وتفقه على كبار تلاميذ مال ك[9] .

وعاصر سحنون خمسة من الأمراء من الأغالبة هم : إبراهيم بن الأغلب مؤسس إمارة الأغالبة ، وأبو العباس عبد الله بن إبراهيم ، وزيادة الله بن إبراهيم ، وأبو عقال بن إبراهيم ، وأبو العباس محمد بن إبراهيم . وبدأ نجم سحنون يسطع عند الأمراء خاصة بعد أن رجع من رحلته وانصرف إلى التعليم في مسجد القيروان ، وعقد مجالس المناظرات والمناقشات في المسجد التي يحضرها الفقهاء كباراً وصغاراً وتدور فيها المساجلات ، وفي هذه المناظرات كان سحنون يُبدي آراءه ويناظر إخوانه بكفاءة عظيمة ويتميز بعلمه ، فتبين لأهل إفريقية أن بينهم فقيهاً جليلاً يرجى له مستقبل باهر ، وبدأ اسمه يشتهر وأخذ احترام الناس له يتزايد ، وما جعل بني الأغلب يهتمون بهذا الفقيه هو ما أثاره علمه وآراؤه وبلاغته وتصديه للحق.[10]

**شيوخـــه** : لا يتم الكلام عن سحنون ودوره في تاريخ العلم إلا بالكلام عن شيوخه ومدرسته التي أخذ منها علمه.

**أما مدرسته** : فهي المدينة المنورة (دار الهجرة ) وفيها عاش وعمل وألقى دروس الإمام مالك بن أنس فهي مهد أومعقل المذهب المالكي ؛ لأنها بمثابة النور الساطع الذي أثار قلوب المسلمين في أرجاء العالم الإسلامي ، وفيها ولد الإمام الجليل مالك بن أنس وفيها خرج تلاميذه ليثبثوا بناء هذا المذهب للأمة الإسلامية .[11]

**وأما شيوخه** : فهم أشهر تلاميذ الإمام مالك بن أنس فمنهم :

***عبد الله بن نافع مولى بني مخزوم** : وهو من كبار أصحاب مالك .[12]

***عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمى** (الماشجون):كان عبد الملك فقيها فصيحا ، ودارت عليه الفتوى في أيامه إلى موته وعلى أبيه قبله فهو فقيه ابن فقيه .[13]

***معن بن عيسى بن يحيى بن دينار المدني**: روى عن مالك وهو الذي قام بقراءة الموطأ للخليفة هارون الرشيد وابنيه الأمين والمأمون ، وخلف مالك في الفقه .[14]

***وكيع بن الجراح** : تفقه على يد مالك بن أنس ، والليث ، وابن الماشجون ، والأعمش ، وتتلمذ على يده كبار قضاء وفقهاء المسلمين آنذاك ، وأراد الرشيد أن يولي وكيعا قَضاء الكوفة فامتنع .

***سفيان ابن عيينة بن أبي عمران** :كان إماماً عالماً ثبتاً حجه زاهدً ورعاً مجمعاً على صحة حديثه وروايته ، وحج سبعين حجة ، ويكنى بأبي محمد الأعور أحد أئمة المسلمين ،تفقه على يد الشافعي، وكان حافظاً واسع العلم كبير القدر ، قال الشافعي عنه : ((لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز )) .

**أما عن شيوخ سحنون في مصر**

بعد أن سمع سحنون من شيوخ المدينة ومكة انتقل إلى مصر وأخذ من أعلام فقهاء المالكية ، فقد نبغ منها عدد من الفقهاء والقضاء وأخذوا العلم من الإمام مالك ، منهم **عبدالرحمن بن القاسم**: تتلمذ على يدالإمام مالك وأصبح الرجل الأول للمذهب المالكي بعد صاحبه ، وأثناء قيام سحنون برحلته إلى المشرق اتصل بابن القاسم الذي منحه كل ما عنده من علم وفقه وبهذا العلم الذي أخده من ابن القاسم أقام مدونته الكبرى

**أشهب بن عبد العزيز بن إبراهيم** : سمع منه عدد كبير من الفقهاء والعلماء ، منهم الحارث بن مسكين وسحنون وأسد بن الفرات ، وألف أشهب عدة كتب رواها تلميذه سعيد بن حسان منها فضائل عمر بن عبد العزيز ، وكتاب اختلاف في القسامة والمدونة .

**عبد الله بن عبد الحكيم**كان محقق لمذهب مالك وإليه أفضت الرياسة في مصر بعد أشهب

**أما شيوخه في تونس فهم: علي بن زياد التونسي**سمع من مالك بن أنس وسفيان الثوري والليث بن سعد ، وقيل عنه : أول من أدخل للمغرب وإفريقية كتاب الموطأ ، وأدخل كذلك الكتاب المعروف باسم جامع سفيان وهو يرد فيه الأحاديث التي رواها سفيان الثوري ، وقام بتدريس الموطأ وفقه مالك للمغاربة ، و كان أهل العلم في القيروان إذا اختلفوا في مسألة ما كتبوا بها إلى زياد ليعلمهم الصواب وكان خير أهل إفريقية في الضبط والعلم . وقال سحنون عن شيخه : ما أنجبت إفريقية مثل علي بن زياد .

**بهلول بن راشد من أهل القيروان** : من أهل القيروان كان ثقة مجتهدا وورعا مستجاب الدعوة . ومنهم .

عبد الله بن فروخ الفارسي ، وشقران بن علي ويحي بن سلام وعبد الله بن عمر بن غانم ومعاوية بن فضل الصمادحي وغيرهم كثير.

ونختم الحديث عن كبار معلمي سحنون في إفريقية بالتحدث عن الفقيه الجليل

* **أسد بن الفرات** : فقد لقي مالكاً وواظب على حضور مجالسه وسمع منه الموطأ ، ثم ارتحل إلى العراق فيطلب الحديث فتلقى أصحاب أبي حنيفة أمثال أبي يوسف وأسد بن عمر ومحمد بن الحسن ، وبعد وفاة الإمام مالك انتقل إلى مصر للتزود بالعلم من كبار علماء المذهب المالكي ، وتلاميذ الإمام مالك أمثال ابن القاسم وابن وهب وأشهب وغيرهم وعن طريق إجابات ابن القاسم وضع أسد بن الفرات كتابه المعروف بالأسدية وهو عبارة عن ست ثلاثين ألف مسألة أخذ منها سحنون بعد ذلكفي كتابه المدونة الكبرى .[15]

**المبحث الثاني**

**ثقافة سحنون و آثاره العلمية**

**1- حِكَم من كلام سحنون :**

* قال سحنون لابنه محمد :- يا بني سلم على الناس ، فإن ذلك يزرع المودة ، وسلم على عدوك ودارِه : فإن رأس الإيمان بالله مداراة الناس .

* وقال : - من لم يعمل بعلمه لم ينفعه العلم بل يضره ، وإنما العلم نور يضعه الله في القلوب ، فإذا عَمِل به نوّر قلبه ،وإن لم يعمل به وأحب الدنيا أعمى حُبُّ الدنيا قَلْبه ، ولم يُنوره العلم .

* وكان يقول : - ترك الحرام أفضل من جميع عبادات الله تعالى وترك الحلال لله أفضل من أخذه ، وإنفاقه في طاعة الله تعالى .

* وقال : ترك دانق مما حرم الله أفضل من سبعين ألف حجة تتبعها سبعون ألف عمرة مبرورة متقبلة ، وأفضل من سبعين ألف فرس في سبيل الله بزادها وسلاحها ، ومن سبعين ألف بُدنة تهديها إلى بيت الله العتيق ، وأفضل من عتق سبعين ألف رقبة مؤمنة من ولد إسماعيل . *وعنه قال : سرعة الجواب بالصواب أشد فتنة من فتنة المال .

* وكان يقول : انظر أبداً : الآمرين يكون فيهما الثواب فأثقلهما عليك هو أفضل [16].

**التأليف عند سحنون :**

قد جمع الناس أخبار سحنون مفردة ، ومضافة ، وممن ألف فيها تأليفاً مفرداً : هو أبو العرب التميمي ومحمد بن حارث القروي . وبالرغم من أن سحنون عاش مدة طويلة بلغت ثمانين فقد كان قليل الاشتغال بالتأليف مكتفياً بالمادة التي أوردها في المدونة الكبرى .

فالمدونة الكبرى من المراجع الرئيسة في فقه مالك بن أنس، مثلها في ذلك مثل ما رواه عبد الرحمن بن القاسم ، وعبد الله بن وهب ، وأشهب ، وغيرهم من أئمة المذهب المالكي .

وقد سبقت المدونة في الظهور الأسدية وكانت تتكون من ست وثلاثين ألف مسألة وقيل ستين ألف مسألة.[17]

**قصة المدونة :**

في الأصل كتبها أسد بن الفرات بن سنان القيرواني (ت214 ه) وكان أوّل من شرع في تصنيفها فكانت تسمى (( الأسدية)) . وكانت الأسدية غير مرتبة ترتيبا دقيقا ، فسار سحنون على نمط أسدبن الفرات ، فجمع كل ما قيل من المسائل من مختلف آراء وفقه مالك ، وكانت كل مسألة تتعدد فيها الأقاويل والآراء يرجع إليها إلى مصدر ومرجع الفقه المالكي (عبد الرحمن بن القاسم ) حيث اعتبره سحنون المصدر الأول للمذهب المالكي لكثرة سماعه من الإمام مالك

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء: أصل (( المدونة)) أسئلة سألها بن الفرات لابن القاسم ، فلما ارتحل سحنون بها، عرضها على ابن القاسم فأصلح فيها كثير، وأسقط ، ثم رتّبها سحنون، وبوّبها ، واحتجَّ لكثيرٍ من مسائلها بالآثار، من مروياته .

وهكذا يعتبر كتاب المدونة في أصله أجوبة سئل عنها عبد الرحمن ابن القاسم ، فأجاب عنها بما سمعه من شيخه مالك ، وكان إذا لم يجد في المسألة رأياً له يجيب بالقياس والرأي.

وبهذا أصبحت المدونة هي الأصل المعتمد في إفريقية وبها ينشر علم الإمام مالك من ذاك الوقت .

وظهرت للمدونة الكبرى عدة مختصرات منها اختصار لمحمج بن عبد الحكم ، وآخر لأبي زيد بن أبي الغمر ، وآخر للبرقي . وعليها يعتمد أهل القيروان وحصل له من الأصحاب ما لم يحصل لأحد من أصحاب مالك وعنه انتشر علم مالك في المغرب.[18]

**قيمتها العلمية :**

أصبحت المدونة أصل الفقه المالكي ، وما عداها لا يعتمد عليه ، وهي مقدمة على غيرها وتأتي في الدرجة الثانية بعد الموطأ ، وأغلب علماء المالكية يتلقون ما جاء في المدونة بالقبول ، وهي أصدق رواية وأعلى درجة من حيث سماعها وروايتها ، وعليها الاعتماد في الفتوى عند علماء القيروان

تميزت المدونة بسهولة الأسلوب ، وحسن تنسيق الألفاظ ورصانة العبارات حيث رتبت ترتيبا ، وصنفت أبواب وفصول ، فأصبحت المرجع الأساسي في للمذهب المالككي مثلها مثل الموطأ .[19]

قال سحنون : عليكم بالمدونة فإنها كلام رجل صالح وروايته ، وكان يقول : إنما المدونة من العلم بمنزلة أم القرآن من القرآن ، تجزي في الصلاة عن غيرها ولا تجزي غيرها عنها .[20]

وقال أبو الوليد بن رشد:" أصل علم المالكيين ، وهي مقدمة على غيرها من الدواوين بعد موطأ مالك "[21]

فضل الكثير من أهل إفريقية والمغرب والأندلس دراسة المدونة عن المؤلفات المالكية الأخرى ، بل كانوا ينظرون إليها كنظرة الكتاب الأساسي للمذهب المالكي مثلها مثل الموطأ . وظلت المدونة مدة في المساجد والمجالس والحلقات العلمية في إفريقية والمغرب والأندلس حتى جاءت الدولة الفاطمية التي عملت بكل ما لديها من قوة للتصدي لأصحاب المدونة ولكنها فشلت [22].

**مضمونها :**

تتألف من أسئلة وأجوبة عن مسائل الفقه التي بلغت 6200 مسألة مرتبة على أبواب الفقه ، وضمنها رواية الإمام مالك عن الصحابة والتابعين ، لذلك تعتبر أصح كتب الفروع في الفقه المالكي رواية.وكتب ابن رشد الجد(520ه) لها المقدمات الممهدات لبيان ما اقتضته المدونة من أحكام .

**منهجية سحنون في المدونة :**

الأسدية هي الأصل الأول للمدونة ، وقد قام الإمام سحنون بتوثيقها عن ابن القاسم ، وبهذا يكون الإمام سحنون مكملا لعمل عظيم قد بدأه شيخه أسد بن فرات ، ومن أبرز ماتميزت به منهجية أسد بن فرات في المدونة هي النزعة إلى الفقه الإفتراضي وتفريع المسائل على مذهب أهل الرأي في العراق ، وهذا واضح في معظم مسائل المدونة .[23] ولذلك أبقى الإمام سحنون منهجية أسد بن الفرات مع إضافة ما يحتاجه من إكمال مثل :

أ- التاكيد على معرفة قول مالك في المسألة

ب- تذييل أبواب ومواضيع المدونة بالأحاديث والآثار

ت- الحرص على كتابة سند الحديث

ث- الاستفسار عن مصطلحات الإمام مالك وعما فيها من الغموض

ج- عدم ذكر تخريج الحديث ودرجته ، والسبب في هذا راجع إلى أن المدونة دونت قبل كتب الحديث إلا كتاب الموطأ .

ح- - حرص الإمام على ترتيب مسائل المدونة وتبويبها حسب أبواب الفقه

خ- الاستفسار عن قول مالك إذا أشكل عليه هل هو قول مالك أم قول ابن القاسم .

د- إظهار رأيه في المسألة .

ذ- وضع اللبنة الأولى للفقه المقارن داخل المذهب المالكي ، مما جعله فقها مرنا يستجيب للقضايا المستجدة ، قال الشيخ أبو زهرة معقبا على المدونة : إن المدونة تشمل أرآء مالك المروية وارآء أصحابه ، وتخريج ابن القاسم على أصول مال فهى في الواقع قد سنّت سبيل الفقه المقارن بموازنة ارآء مالك بارآءاصحابه ، وهي قد سنّت أيضا السبيل لتخريج المسائل على أصول مالك ونسبتها إليه على هذا الاعتبار ، وبذلك فتح باب التخريج في ذلك المذهب العظيم منذ عصره الأول ، والتخريجفي المذهب : سبيل نموه ،وأساس شمول أحكامه لأن الحوادث لا تنتهي، وإذا كان الفقهاء الذين نشروا المذهب حاولوا تباعها في كل ما يجد من أحداث فلابد من التخريج على أصول الأئمة .[24]

- مختصرات المدونة وشروحها :

1-أول من شرحها هو ابنه محمد بن سحنون

2-أبو القاسم خلف بن أبي القاسم الأزدي المعروف بابن البرادعي "الشرح والإتمام لمسائل المدونة"

3-أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي (ت747)

4-أبو الطاهر إبراهيم بن عبد الصمدبن بشير التنوخي ،له شرح عليها اسمه"التنبيه على مسائل التوجيه 5-محمد بن عمر التميمي المازري(ت536)

6-أحمد بن نصر الداودي

7-أبو علي سند بن عنان بن إبراهيم الأسدي (ت520) له شرح عليها سماه (الطراز)

- بعض من تناول المدون بالشرح والاختصار :

- حمديس بن ابراهيم بن أبي محرز اللخمي القفصي
- محمد بن إبراهيم اللخمي ، وقد اشتهر اختصاره بين طلبة القيروان
- -أبو سعد البراذى"التهذيب في اختصار المدونة"
- -كتاب المهذب في اختصار المدون " للقاضي أبي الوليد الباجي(ت403)
- "التقريب " لأبي القاسم خلف المعروف باليرالي ، مفتي بلنسة
- الملخص في اختصار المدونة "لابي القاسم عبد اللرحمن بن محمد الحصري
- نظم الدرر في اختصار المدونة " عبد الله بن عبد الرحمن . هذه مجموعة قليلة من الشروح والاختصاراتمن الفقهاء الذين اهتموا بها اهتماما بليغا .[25]

**كبار تلاميذ سحنون :**

اشتهر الإمام بكثرة تلاميذه فقد"نبغ على يديه عدد كبير من العلماء والفقهاء ، والقضاء الذين واصلوا رسالته في نشر العلم في إفريقية ، وجعلها قاعدة من قواعد الفقه الإسلامي والدراسات العربية ، ومن إفريقية امتد أثر مدرسة إفريقية خاصة في عهد سحنون إلى بقية نواحي المغرب والأندلس ليبثوا ما تعلموه من فقه ودين وعلم وتقوى وفضيلة "[26].

اختلف المؤرخون في عدد التلاميذ ما بين أربعمائة ، وسبعمائة طالب . قال ابن عجلان الأندلسي : ما بورك لأحد بعد أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما بورك لسحنون في أصحابه ؛ إنهم كانوا في كل بلد أئمة . وقال ابن الحارث : سمعتهم يقولون : ((كان سحنون من أيمن عالم دخل المغرب ،كأن أصحابَهُ مصابيح في كل بلد ! وَعدَّ لهُ نحو سبعمائة رجل ظهروا بصحبته وانتفعوا بمجالسته .[27]

" ولكن الذي يهمنا في هذه النقطة هو ذكر أشهر طلابه وأثرهم في المجتمع الإسلامي وما كانوا يتقلدونه من مناصب هامة ووظائف سياسية وإدارية ودينية ودورهم الحضاري في العلوم الإسلامية وغيرها من العلوم فكان لهم دور حضاري عظيم ، كانت حلقة دروس سحنون تجذب عدداً كبيراً من طلاب الأندلس والمشرق ، وأخرجت عدداً ضخماً من الفقهاء فاستوطنوا إفريقية للدراسة ، وكان من عادة سحنون أن يجلس في المسجد وحوله الطلاب من مختلف بقاع العالم الإسلامي يطرحون المسائل في شتى مجالات الفقه ويسجلون ما يرونه من آراء ويجادلونه في كل صغيرة وكبيرة في فقه مالك مما أدى إلى حدوث نهضة فقهية وفكرية في إفريقية الأغلبية " [28].

ومن أشهر تلاميذ سحنون في بلاد المغرب والأندلس والذين أخذوا عنه الزهد والعبادة والورع وعمل الخير وسارعوا على نمط أستاذهم في خدمة العلم والفقه في بلادهم منهم :

**1- أحمد بن محمد الأشعري بن حمديس القطان :**

كان عالماً في الفضل مثلاً في الخير مع شدة التمسك في مذهب أهل السنة ، وكان أيضاً ورعاً ثقة مأموناً يُضرب به المثل في العبادة .

**2- أبو يوسف جبلة بن حمود بن عبد الرحمن :**

من أبناء القادمين إلى إفريقيا مع حسان بن نعمان أسلم جده على يد عثمان بن عفان -رضي الله عنه- ، وأخذ من سحنون المدونة والموطأ . وكان جبلة فقهاً زهداً ، واحد زمانه في الزهد والورع وفاق أصحاب سحنون في الزهد والعبادة وهو أزهد أهل زمانه .

**3- عبد الله بن غافق التونسي :**

سمع من زيد بن بشير وابن عبد الحكيم وكان موصوفاً بالورع والعلم والكرم ، كان فقهياً ذا هيبة ونسك ، محدوداً في أصحاب سحنون ، ثقة ، مأموناً ، وكان له طاعة بتونس لا يتقدمه أحد منهم في وقته لا يخالف أمره وعُرض عليه قضاء القيروان فرفض .[29]

**4- حماس بن مروان الهمذاني :**

قال عنه مشائخ إفريقية ، اجتمعت في حماس خصال أربع ؛ الفقه الكثير ، والورع الجيد والعبادة والزهد ، ولي القضاء سنة 290 هـ وكان من أفضل القضاة في القيروان وأعدلهم .

**5- أبو العباس عبد الله بن طالب بن سفيان :**

كان أبو العباس فطناً جيد النظر ، حريص على المناظرة بقصد الفائدة ، كان عادلاً في قضائه صارماً في جميع أمره ، عالماً بما اختلف فيه وفي الذَّبِّ عن مذهب مالك.

لم يكن تلاميذ سحنون بن سعيد من العرب والمستعربين والبربر فقط ؛ بل كان فيهم رجال كثيرون من أصول أخرى ، منهم أصول أعجمية ، وفارسية ، ورومانية ، ويهودية ، وبرعوا في دراسة علم الفقه ومنهم :

**محمد بن إبراهيم بن عبدوس** : قد شبَّهُ بعض الناس بسحنون في فقهه وزهده وسيرته وهيبته وملبسه ومطعمه .

**أحمد بن موسى بن مخلد** : هو من العجم يقال له عيشون ويكنى (ابن عاشر ) ، يلاحظ من كتبه أنه يهودي الأصل ثم دخل في الإسلام ونبغ في دراسة العلوم الإسلامية وهو ثقة ، فقيه ، زاهد متعبد ،فاضل وورع . عثمان بن أيوب بن أبي الصلت : قيل أنه أول من أدخل المدونة إلى الأندلس .

* **ومن تلاميذ سحنون الذين ذاعت شهرتهم في علم الحديث** ، وكان لهم دور بارز في التطور الفكري والحضاري في بلاد المغرب والأندلس . نذكر منهم :
- إبراهيم بن شعيب الباهلي .
- وأحمد بن معتب بن أبي الأزهر الأزدي .

* **ومن تلاميذ سحنون الذين تعلموا علم الفرائض والحساب منه** ونشروا هذا العلم بعد موته في أرجاء الدولة الإسلامية ، منهم :
- أحمد بن عجلان من أهل سرقطة هو من المشهورين بالفضل والخير ، بصير بالفرائض والحساب جيداً ووضع فيه كتاباً وولي القضاء في سرقطة .

* **أما علم القراءات :** فقد خرج من مدرسة سحنون عدد لا بأس به من التلاميذ الذين بثوا هذا العلم منهم :- عبد الله بن مسعود من أهل طليطلة .

* **أما المسائل والفتيا فكانت** مدرسة سحنون عظيمة بعدد كبير من التلاميذ الذين برعوا في المسائل والفتيا منهم : سعيد بن عفان يكنى بأبي محمد هو من طليطلة .

* **أما علم الفقه**

فقد تخرج على يد سحنون عدد لا يحصى من التلاميذ الذين رسخوا أسس المذهب المالكي على رأسهم : ابنه محمد بن سحنون من كبار رجال القيروان وقد تحدثنا عنه في بداية البحث .

منهم : عبد الجبار بن خالد بن عمران ، وأحمد بن علي بن حمد التميمي وغيرهم كثير .

ووفق سحنون إلى تخرج عددٍ كثيرٍ اشتهروا باتقان رواية الحديث وهذا نتيجة ما تلقوه من سحنون، منهم :فضل بن سلمة ، وأصله من البيرة , كان أوقفُ الناسِ على الروايات وأعرفهم باختلاف أصحاب مالك ، كان بصيراً بالمذهب حافظاً له وله عدة كتب ومصنفات منها : (( مختصر المدونة ، ومختصر الواضحة ، وكتاب تنبيهات في الفقه ))

ونختم تلاميذ سحنون بخديجة بنت الإمام سحنون ، وأسماء بنت أسد الفرات فقهيتي القيروان .[30]

- **أما خديجة** فقد ذكرناها في بداية البحث في أسرة الإمام .
- **أما أسماء بنت أسد الفرات** : عالم إفريقية وقاضيها ، وصاحب الإمامين ، أبي حنيفة النعمان ومالك بن أنس .

نشأت أسماء بين يدي أبيها ، ولم يكن له سواها فأحسن تهذيبها وثقّف ذهنها علماً وحكمة ، وكانت تحضر مجالسه العلمية في داره وتشاركه في السؤال والمناظرة حتى اشتهرت بالفضيلة ورواية الحديث والفقة .

## المبحث الثالث

### الجوانب العلمية في حياة القاضي سحنون

**أ - رحلته في طلب العلم :**

تلقى أبو سعيد علومه الأولى في كتاتيب ، شأنه في ذلك شأن غيره من الصبيان في ذلك الحين ، وعندما اشتد عودة وأنس فيه جانب التحصيل أعانه أبـــوه وكبار مشايخ إفريقيا وعلمائها آنذاك كأبي خارجـه وبهلول وعلي بن زياد وابن أبي حسان وأبي مسعود بن الأشرس وابن غانم ومعاوية الصمادحي ، ثم ذهب إلى تونس للدراسة العميقة الفائقة على يد فقيهها المتمكن علي بن زياد التونسي، عُنى به علي بن زياد ودرسه موطأ مالك بن أنس وأعانه على تحصيله وفهمه .[31]

طلب سحنون المزيد من العلم فأشار عليه معلمه بالذهاب إلى المدينة موطن إمام دار الهجرة ومعقل الفقهاء والعلماء ولهذا رحل سحنون إلى المشرق .

رحل سحنون إلى الحجاز عام 188هـ – ولكنه لم تتح له فرصة لقاء الإمام مالك للسماع عنه بل أخذ علم الفقه على أيدي كبار تلاميذه في مختلف الأمصار الإسلامية .

وعاد سحنون إلى بلده القيروان عام 191هـ .

إذاً فقد قام الإمام سحنون برحلتين إلى المشرق الأولى عام 178هـ – 179هـ ليدرك مالك فلم يوفق في ذلك ودرس على من تيسر له من الشيوخ ثم عاد إلى بلده ليرحل مرة أخرى عام 188هـ ليستزيد من العلم من شيوخ المشرق ثم العودة به إلى إفريقية.

وحقاً كان سحنون هو الذي ثبت مكانة هذا المذهب في إفريقية ومنها امتد المذهب المالكي إلى بقية أجزاء بلاد المغرب .[32]

ومن المعروف أن بلاد المغرب والأندلس كانت تسير على مذهب الأوزاعي الشامي ، وهو أبو عمرو عبد الرحمن بن عمر إمام أهل الشام ، ولم يكن بالشام أعلم منه وكان إمام أهل زمانه . [33]

وعاد سحنون إلى القيروان فوجد فيها عدد عظيم من العلماء والفقهاء على رأسهم أسد بن الفرات ، وأحمد بن محرز ، ومحمد بن أبي الجواد وأبن أبي خارجة الغافقي . كان هؤلاء يتخذون من مسجد القيروان مكان للمجادلة والمناقشة وطرح المسائل للفقه المالكي والسنة ونلاحظ أن معظم هؤلاء الرجال تولوا مناصب القضاء بإفريقية بعد ذلك . [34]

**ب - العلوم التي برع فيها**

كان سحنون رمزا للحضارة الإفريقية الأغالبية فهو الذي ثبت ورسخ المذهب المالكي في أفريقية مع العلم بأن إفريقية كانت تعرف هذا المذهب عن طريق الطبقات الأولى من علماء إفريقية الذين ذهبوا إلى المدينة لتلقي أصول هذا المذهب من صاحبه إمام دار الهجرة الإمام مالك بن أنس . فسحنون عمل أكثر من غيره على نشر هذا المذهب وتعميق جذوره في إفريقي والمغرب وامتد صيته إلى بلاد مصر والشام والعراق .

وأعطى سحتون لبلاد إفريقية شخصية مميزة عن بقية البلدان الإسلامية حيث اشتهرت إفريقية بمجالس سحنون التي زخرت بطلاب العلم ، وكان أي طالب علم يزور إفريقية . يبدأ بالسؤال عن سحنون وعندما يحضر مجالسه كان يشعر بعظمة إفريقية وارتفاع المستوى العلمي والفقهي فيها ، وساهم بنصيب كبير في إعادة الاستقرار والهدوء إلى إفريقية نتيجة لتصديه للخرارج والمذاهب الأخرى بلسانه وعلمه [35].

**جانب الحديث :**

لم يتوسع سحنون في الحديث كما توسع في الفروع .[36] والذي أطلق عليه لقب سحنون هم بعض مشايخ أهل الحديث لشدة ذكائه في الدرس والتحصيل .

وقيل عن سحنون إنه قال : إني حفظت هذه الكتب حتى صارت في صدري كأم القرآن ، وسُئل سحنون أيسعُ العالم أن يقول :لاأدري فيما يدري؟ قال: أما مافيه كتاب أوسنةثابتة فلا ، وأما ما كان من هذا الرأي فإنه يسعُه،ذلك ؛ لأنه لا يدري أمصيب هو أم مخطي.[37]

قال سليمان بن سالم : دخلت مصر فرأيت بها العلماء متوافرين :عبد الحكم ، والحارث بن مسكين ، وأبا الطاهر ، وأبا اسحق ، والبرقي ، وغيرهم ، ودخلت المدينة وبها أبو المصعب والفروي ، ودخلت مكة وبها ثلاثة عشر محدثا ، ودخلت غيرها من البلدان ، ولقيت علماءها ومحدِّثها ،فما رأيت مثل سحنون وابنه بعده .

أخذسحنون عن ابن وهب مغازيه إجازة ، وكان العلم في صدر سحنون كسورة من القرآن ؛ من حفظه ، وقال وضاح : ((كان سحنون يروي تسعةًوعشرين سماعا ، ومارأيت في الفقه مثل سحنون في المشرق )) .[38]

وَوفِق سحنون إلى تخرج عدد كثير ممن اشتهروا باتقان ورواية الحديث . وهذا نتيجة ما تلقوه من سحنون , منهم فضل بن سلمة : أصله من البيرة ، كان أوقف الناس على الروايات وأعرفهم باختلاف أصحاب مالك .

**القضاء عند سحنون:**

يعتبر سحنون من أعلام القضاء في تاريخ القضاء في العالم الإسلامي كله وينذر أن تجد رجلاً في المغرب في عصره اشتهر أسمه بالعلم والفضل ورشحته فضائله لأن يكون قاضياً كما كان سحنون

فقد كان بالفعل إماماً في العلم.[39] والفضل ، ومثالاً لا يتاجر به في الأخلاق والحكمة وبُعد النظر وحسن السياسة .

وإن كان سحنون لم يلِ القضاء إلا في السن الرابعة والسبعين من عمره كان في الحقيقة غير راغب فيه (كما كان يقول لتلاميذه) وكان مذهبه في ذلك مذهب كبار فقهاء المالكية من البعد عن الوظائف والانصراف إلى العلم حتى يحافظوا على هيبتهم بين الناس كما كان حال شيخهم مالك بن أنس .

وفي العالم الإسلامي كله كانت الظروف السياسية لا تعين القاضي العادل على القيام بمسؤوليات وظيفته فكان المتحرزون من أهل العلم والفضل يفضلون البعد عن منصب القضاء والإفتاء بأن يكون من أهل الشورى أي يشاورون في الأحكام والنزول دون أن يكونوا في منصب رسمي يتقاضون عليه أجراً .[40]

تولى سحنون القضاء في عهد محمد بن الأغلب . وساد الحزن حياة سحنون نتيجة ما اضطر فيه من قبول ولاية القضاء فلم يعد يهتم بأوجه حياته المختلفة من ملبس ومشرب ومأكل وقد وصف لنا تلميذه سليمان بن سلام الموقف ، فقال لما تمت ولاية سحنون تلقاه الناس فرأيته راكباً على دابة ما عليه كسوة ولا قلنسوة والكآبة على وجهه ، ما يتجرأ أحد يهنئه ، فسار حتى دخل على ابنته خديجة وكانت من خيار النساء وقال لها : (اليوم ذُبِح أبوك بغير سكين ) .

وكان سحنون لا يأخذ لنفسه رزقاً ولا صلة من السلطان في قضائه كله , ولكنه كان يأخذ لأعوانه وكتّابه وقضاته . [41] وعرف القضاء الإسلامي اصلاحات في عهد سحنون منها :

1 – إحداث دوائر قضائية مختصة وهي دائرة المظالم ودائرة الحسبة , ودائرة قاضي القضاة .

2 – تخطيط إجراءات التقاضي وتنظيمها وإحداث قانون الإجراءات المدنية والجزائي تمثل في

أ – الاستدعاءات : إحداث نظام في إحضار الخصوم باستدعاء كتابي أو شفهي .

ب – إحداث محاكم قضائية يتولى القاضي الجلوس فيها لسماع الخصوم وفصل النوازل .

ج – إحداث دفتر لتسجيل الأحكام وتوظيف كتبه لذلك .

3-حرص على توسيع مجال العدل ، وحفاظاً على مصلحة الجميع سعى إلى تنظيم وضعية الأسواق على أسس جديدة وكان يزورها لمراقبة حسن سيرها على الأسس الجديدة التي سنها وجعل عليها قاضياً .[42]

**مجلس سحنون القضائي :**

1. قال محمد بن سحنون ، كان يضرب الخصوم إذا آذى بعضهم بعضاً بكلام . أو تعرضوا للشهود

2. وكان يؤدب الناس على الأيمان التي لا تجوز في الطلاق والعتق ؛ حتى لا يحلفوا بغير الله ويؤدبهم على سوء حال لباسهم .

3. قام سحنون بعدة اصلاحات وانجازات قضائية إفريقية تركت له بصمات في تاريخ بلاد المغرب وأفريقية في القرنين الهجريين الثالث والرابع منها النظر في الأسواق - وكان الذي ينظر فيها الولاة دون القضاة فيما يصلح من المعاش وما يغش من السلع ، وكان يؤدب على الغش وينفي من الأسواق من يستحق ذلك .

4- كان سحنون أول من نظر في الحسبة من القضاء وأمر الناس بتغيير المنكر ، وأول من فرق حلقات البدع من المساجد ، وشرد أهل الأهواء منها وكانوا يتناظرون فيها ويظهرون زيفهم . وعزلهم من أن يكونوا أئمة الناس أو معلمين أو مؤذنين وأمرهم أن لا يحتموا في المسجد .

و هو أول من جعل في الجامع إماماً يصلي بالناس ، كان هذا العمل للأمراء ، وجعل الودائع عند الأمناء ، وكانت قبل ذلك في بيوت القضاء .

كانت فترة قضاء سحنون من أعدل وأنقى فترات القضاء في إفريقية ، وقد سبق ذلك تلاميذ سحنون فقال عيسى بن مسكين : (( فحصل الناس بولايته شريعة من الحق ولم يل قضاء إفريقية مثله )) .

وقال سعيد بن اسحاق : (( كل من ولى قضاء إفريقية اكتسب إلا سحنون )) [43].

**جانب الإفتاء:**

نتيجة لكثرة شيوخ الإمام وتقديمهم في العلم والفقه لقد نشأ الإمام نشأة علمية استطاع من خلالها بلوغ درجة المجتهدين حتى فائق علماء زمانه ، وذلك جعله يعمل من أجل خدمة المذهب المالكي ، ونظراً لعلمه الغزير ، فقد استطاع الذَّبَّ عن المذهب وخدمته خصوصاً في الإفتاء ليصبح بذلك مفتي زمانه ، وما من مسألة سُئل عنها إلا كان عنده جواب لها .[44]

قال سحنون : أنا أحفظ مسائل فيها ثمانية أقاويل من ثمانية أئمة ، فكيف ينبغي أن أعجل بالجواب ؟ وكان يقول : أجرأ الناس على الفتيا أقلهم علماً ، وقال الحافظ أحمد بن خالد :كان محمد بن وضاح لا يفضل أحداً ممن لَقِي على سحنون في الفقه و بدقيق المسائل .[45]

**جانب التدريس**

كان سحنون يعتبر العلم كالهواء والماء والغذاء ، حقا للجميع ، وفي سبيل الجميع . فقال : ماينبغي أن يمنع هذا العلم عن أحد . وقال أيضا : هذا هو مفتاح الحضارة الإسلامية فهل يدركه قومي ، ويأخذونه بيمينهم من جديد ، ليعود لهم مجدهم التليد . لذلك نجده ينفق على تلاميذه من ماله الخاص . وكان إذا لمح بارقة ذكاء ونجابة واجتهاد من أحد الطلبة فرح بها ، وأبرزها .وكان شديد الحرص على تأديب طلابه ، يدرك أن العلم إذا لم يصحبه أدب كان شرا من الجهل ..[46]

خدم الإمام سحنون المذهب المالكي بالتدريس إضافة إلى التأليف ، فقد درَس على يديه ثلةٌ من التلاميذ ، أوصلهم بعض أهل التراجم –كالذهبي- إلى تسعمائة واحد ، وقيل :إن الرواة عن سحنون بلغوا تسعمائة إنسان ، ومنهم ما ذكره الإمام الذهبي ؛ حيث قال : وروى عنه منهم : يحيى بن عمرو ، وعيسى بن مسكين وحمديس و ابن المغيث .

وهؤلاء التلاميذ الذين درسوا و تتلمذوا على يد الإمام سحنون ،نشروا مذهبه في مختلف بقاع الأرض وكانوا أئمة فيها ، روى الإمام الذهبي عن ابن عجلان الأندلسي قال : ما بورك لأحد بعد النبي -صلى الله عليه وسلم- في أصحابه ما بورك لسحنون في أصحابه فإنهم كانوا في كل بلد أئمة .[47]

وقال ابن فرحون : قال سحنون : سمع مني أهل إجدابية سنة إحدى وتسعين وفيها مات ابن القاسم ، قال : وخرجت إلى ابن القاسم وأنا ابن خمس وعشرين ، وقدمت إلى إفريقية ابن ثلاثين سنة ، وأول من قرأ عليّ عبد الملك بن زوبان .[48]

**الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**

كان الإمام يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر في مجلس القضاء وفي غيره ذلك عندما كان يؤدب الخصم إذا طعن في الشاهد ، أو عندما كان يؤدب الناس على الأيمان التي لا تجوز ، كم في أيمان الطلاق والعتاق وما شابهما ،بل كان ينهى عن المنكر في الجنائز من شق الجيب ولطم الخدود ، وحثو التراب على الرؤوس

ومما اعتبره سحنون أمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر تفريق حلقات العلم والمناظرة التي كان يعقدها في المسجد الجامع بالقيروان علماء الأصفرية ، والإباضية ، والمعتزلة ممن كان يعتبرهم أهل الزيغ والبدع . فكان أول من فعل ذلك من قضاة القيروان . وكذلك فإنه منع أصحاب هذه المذاهب من أن يكونوا أئمة في المساجد ، أو معلمين للصبيان ، أو مؤدبين في المكاتب ، وكان يُنزل العقاب الصارم بمن يخالف أمره منهم ، فيشنع بهم ويطوف بهم في المدينة ، كما أنه دفع بالكثيرين منهم إلى التوبة عما كانوا يعتقدون فيه ، وكان يجعلهم يعلنون ذلك من أعلى منبر الجامع .

**الحسبة في الأسواق**

كان أول من نظر في انتظام سير الأمور في الأسواق من القضاء . فكان يسير في الأسواق يسلم على الناس ، وينظر فيما يصلح للمعايش ، وما يغش من السلع وكان يؤدب في الأسواق على الغش ، وينفي من الأسواق من يستحق ذلك من التجار .

ووسع نطاق الحسبة خارج الأسواق حتى شمل مدينة القيروان بأكملها ، فلقد تتبع الفجار من الرجال والنساء ، وفي ذلك أنه أدب المراة ممن كن يحرضن على الفسق في الأسواق ، ثم نقلها بين الصالحين .[49]

**وفاته :**

تُوفي الإمام سحنون في شهر رجب سنة أربعين ومئتين . ولهُ ثمانون سنة ، خلفه ولده محمد [50]

ودفن من يومه ، وصلى عليه الأمير محمدابن الأغلب ، ووجه إليه بكفن وحنوط ، فاحتال ابنه محمدحتى كفنه في غيره . وتصدق بذلك .

ولما مات سحنون رُجت القيروان لموته ، وحزن الناس وقال سليمان ابن سالم (( لقد رأيت يوم مات سحنون مشايخ من الأندلس يبكون ويضربون خدودهم كالنساء ، ويقولون : " ليتنا تزودنا نظره نرجع بها إلى بلدنا " ؟ قال ابن الحارث : " أقام سؤدد العلم في دار سحنون نحو مائة عام وثلاثين عاماً، ابتداءً من طلب سحنون وأخيه العلم إلى موت ابن عمه : محمد بن محمد بن سحنون " [51].

**الخاتمـــــــــــة**

1-كان سحنون عَلماً من أعلام النهضة الفقهية التي قامت في بلاد إفريقية خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين .

2- تتلمذ على يد كبار تلاميذ الإمام مالك . فعمل أكثر من غيره على نشر المذهب المالكي وتعميق جذوره في بلاد إفريقية و المغرب العربي ، وامتد صيته إلى بلاد مصر و الشام و العراق وأكثر تلاميذه في هذه البلاد كلها .

3- اشتهرت إفريقية بمجالس سحنون التي زخرت بطلاب العلم ، وكان يتصدى للخوارج والمذاهب الأخرى بلسانه وعمله . 4 - وكان لسحنون الفضل في إدخال نظم قضائية جديدة في إفريقية منها وظيفة المحتسب إلى جانب تعيين نواب عنه في البوادي وبقية أجزاء إفريقية

5- ألف كتاب المدونة الكبرى ، فهو يلي كتاب الموطأ الذي وضعه الإمام مالك بن أنس في الأهمية وهو أكثر أصول الفقه المالكي فهماً وشمولاً .

6- عرف سحنون بكثرة تلاميذه الذين أوصلهم المؤرخون إلى سبعمائة طالب الذين كان لهم أثرهم في المجتمع الإسلامي ، وما كانوا يتقلدونه من مناصب هامة ووظائف سياسية وإدارية ودينية ودورهم الحضاري في العلوم الإسلامية وغيرها من العلوم .

7- برع في جوانب كثيرة : أهمها جانب الحديث ، والقضاء ، والإفتاء ، والتدريس .

[11]– الديباج المذهب ،2ابن فرحون ،\30 ، وسير أعلام النبلاء للذهبي ،12\68

[2]– ينظر الاعلام ،خير الدين الزركلي ،4\5 ،

[3]– ينظر سير أعلام النبلاء ، للذهبي ،12\66

[4]–كتاب الإمام سحنون ،محمد زينهم محمد عزب، ص ، 215

[5]– سير أعلام النبلاء للذهبي ،12\67

[6]– المصدر السابق ،12\69

[7]–كتاب الإمام سحنون ، ص 127 – 129

[8]– الديباج المذهب ، ابن فرحون ، 32-35

[9]– وفيات الأعيان ،ابن خلكان ، 1\305

[10]–كتاب الإمام سحنون ، ص 316

[11]– المرجع السابق ، ص77

[12]– الديباج المذهب ، ابن فرحون ،ص31

[13] –الإمام سحنون ، ص 80

[14]– المرجع السابق ، 81

[15]–كتاب الإمام سحنون ، ص94 – 121

[16]– المصدر السابق ، ج2 ص 38

[17]– معجم المؤلفين ، عمر رضا كحالة ، ه \225

[18]– طبقات الفقهاء ، للشيرازي ، 185، وينظر كتاب الإمام سحنون، ص185 ومابعدها

[19] -الإمام سحنون ، ص168

[20] - ترتيب المدارك ، القاضي عياض ، 3\300

[21] - المقدمات الممهدات ابن رشد ،1\44

[22] - الإمام سحنون ص 186

[23] - سحنون مشكاة نورعلم وحق ،سعدي أبو حبيب ، ص 31

[24] - القواعد الفقهية المستنبطة من من المدونة الكبرى ، الزقور ، من ص 164-169

[25] - ينظرالتهذيب في اختصار المدونة ، للبراذعي ،ص39-41، القواعد الفقهية المستنبطة من من المدونة الكبرى ، الزقور،141-144

[26] - كتاب الإمام سحنون ،ص 189

[27]– **الديباج المذهب ،ابن فرحون ،ج2 ص27**

[28] كتاب الإمام سحنون ، ص 189

[29]– ينظر ترتيب المدارك للقاضي عياض ، ج3 \ 272 وينظر الإمام سحنون ،ص 190- 193

[30] – ينظر ترتيب المدارك ، ج3 \ 227 ، وينظر الإمام سحنون ، 215 – 220

[31]–كتاب الإ مام سحنون ، ص66

[32]– المصدر السابق ، ص 66

[33] –العبر – للذهبي – 1\227

[34]–كتاب الإمام سحنون ، ص 70

[35] - المصدر السابق ، ص 223

[36]–سير أعلام النبلاء ،12\64

[37]– ترتيب المدارك ،2\590

[38]– الديباج المذهب ، ابن فرحون ج2ص33

[39] –المصدر السابق، ج2 ص 164

[40] –كتاب الإمام سحنون ، ص 146

[41] - المصدر السابق ، ص 151

[42] – ينظر سحنون مشكاة نور وعلم وحق , سعد أبو حبيب ،ص55 وما بعدها

[43]–كتاب الإمام سحنون ، ص153

[44]– ترتيب المدارك ، القاضي عياض 154

[45]– سير أعلام النبلاء ، 12\66

[46] سحنون مشكاة نور وعلم وحق،سعدي أبو حبيب ، ص 38

[47] –تاريخ الإسلام، للذهبي ، ج5 ، ص867 .

[48]– الديباج المذهب ، ج2 ص35

[49] - ينظر تاريخ المغرب العربي ، سعد زغلول ،الإسكندرية ط 1979، 2\92-93

[50] - سير أعلا م النبلاء ، 12\69

[51]– الديباج المذهب ، ابن فرحون ،2 \40

**قائمة المراجع**


[1]- الأعلام ،خير الدين الزركلي ،دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر 2002 م .

[2]- الإمام سحنون ، محمد زينهم محمد عزب ، دار الفرجاني ، القاهرة – طرابلس – لندن

[3]- تاريخ الإسلام ، للإمام الذهبي ، تحقيق بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، الطبعة الأولى ، 2003 م . تاريخ المغرب العربي ، سعد زغلول عبد الجواد ،دار المعارف الإسكندرية ،ط1979

[4]- ترتيب المدارك ، للقاضي عياض ، مطبعة فضالة المحمدية ، المغرب ، الطبعة الأولى ، 544ى ه .

[5]- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، لأبن فرحون ، تحقيق محمد الأحمدي ، دار التراث ، القاهرة .

[6]- .سحنون مشكاة نور وعلم وحق , سعد أبو حبيب ، دار الفكر- دمشق ، الطبعة الأولى 1406 ه – 1986 م

[7]- سير أعلام النبلاء ، للإمام الذهبي، ، مؤسسة الرسالة، تحقيق علي أبو زيد، ط: 1403ه - 1983م، بتصرف.

[8]- طبقات الفقهاء ، الشيرازي أبي إسحاق ، تحقيق بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، الطبعة الأولى ، 2003 م

[9]- العبر في خبر من عبر ، للحافظ الذهبي 728 ه ، تحقيق محمد السعيد بن بسيوني بن زغلول ، دار الكتب العربية – بيروت لبنان

[10]- معجم المؤلفين ، عمر رضا كحالة ،مؤسسة الرسالة

[11]- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ،أبي العباس أحمد بن محمدابن خلكان ، تحقيق يوسف علي طويل و مريم قاسم طويل ، دار الكتب العلمية